بسم الله الرحمن الرحيم

١٠ / ٥ / ١٤٤٢

الإدمان المعاصر

التطور المعاصر بين الإيجاب والسلب.

يمر عالمنا المعاصر اليوم بقفزات هائلة، تسابق الأنفاس، وتعجَز العقول عن استباقِها أو تصورِها، فما إن يقتنع العقل بثورة علمية، وقفزة تَقْنيَّة، حتى تأتيَ أختُها بأكبر منها وأوعب، وأسرع منها وأعجب، وفي كل يوم يَبِيْنُ للإنسان قولُ الحق سبحانه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٨ ، فكلُّ يوم هو سبحانه في شأن وتدبير، وخلق وتقدير، وكلُّ علمٍ ناشئٍ في العصر الحديث فهو من مظاهر قوله عز من قائل: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: ٥

وهذا التقدم المتسارع قلما تسلم العادات والتقاليد من التأثر به، إما نهوضًا ورفعة، أو قعودًا وخِسَّة، وأشدُّ ذلك التأثر إذا كان في دين المرء، فإن ضعف الديانة مصيبةٌ كبرى، ورزيةٌ عظمى، وما قدمته التقنية المعاصرة من خير للبشرية بيّنٌ واضحٌ، إلا أنها حملت في بعض

طياتها تسهيلاً للشر، وتقريبًا للجريمة في اختلاف الأصعدة، مما حمل الأنفس الشريرة على ركوب موجة التقدم لحمل هجمات إجرامية على الناس، حتى اضطرت الدول لتنظيم قواعدَ وعقوباتٍ وتعزيراتٍ في سبيل مكافحة الجرائم الالكترونية.

الإدمان من مفرزات هذا التقدم.

ومما شكله هذا التقدم المتحور المتسارع: حالاتٍ صحية كانت نتاجَه وحاصَله، من مشاكل نفسية، وعقلية، وعضوية، ولدَّت عَطَلاً، وخُمُولاً، وتركًا للمصالح الدينية، والدنيوية، مما له الأثر البالغ على الإفراد والمجتمعات.

ولنفتح اليوم نافذةً من تِلكُمُ النوافذ الخطيرة التي جثمت على كثير من الناس، ولكن بشكل آخر، وبلون غير معهود: ألا وهي نافذة الإدمان.

إن إدمان الشيء معناه: أن يبقى الإنسان مقيدًا في أصفاده وأغلاله، يعجز عن التخلص منه، والرميّ بنفسه عن براثنه وشرائكه، ولا ينقله إدمان الشي من حالة بائسة إلا إلى حالة أشدَّ بؤسًا وأشأم مصيرًا.

إدمان السجائر الالكترونية والعقاقير والمخدرات.

إن كلمة الإدمان ارتبطت في الجيل الأول بإدمان المخدرات، والتي هي آفة الآفات، وتبذيرُ الأموال والممتلكات، وسببُ التشتت وتعجيلِ المنيَّات، مع ضياع الأسر وهتك الأعراض، وانحلال الأبناء، وفقدان القدوة والاتزان، والأهم من ذلك كلِّه ضياعُ آخرة الإنسان مالم يتخلص من رقِّها، إلى التوبة والمعالجة.

فالكحول وإدمانها، والكوكايين وما تُوَلِّد من عنف وسطوة واكتئاب، والحشيش وصناعتُه لشبابٍ في أثوابٍ بليدة لامبالية، في ذاكرة ضعيفة، وتَخَلُّفٍ عن التفوق والنجاح، والبعد عن الإسهام في بناء جيل صاعد واعد.

أضف إلى هذه الأسرة المخدرة المشؤومة، أخًا مشؤومًا أشد انتشارًا، وأكثر تهوينًا وتساهلاً لدى الناس، ألا وهو: إدمان النيكوتين، القابعِ في عود الدخان والسيجارة: التقليدية، أو الالكترونية والتي حملت أخطارًا مضاعفة، وسمومًا أشد ضراوة وفتكًا للرئة، من السيجارة التقليدية.

يتسبب التدخين في قتل ما يقارب ثمانيةَ مليونِ إنسانٍ سنويًا، وهو مرتبط مسؤول عن كثير من الأمراض والآفات، وصدق الله إذ قال:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾البقرة: ١٩٥، وقد حرّم الإسلام كلَّ ما كان طريقًا للمهالك، سبيلاً للمعاطب والردى، قالت عائشة-رضي الله عنها-: "إن الله لا يحرم الخمر لاسْمِها، وإنما حرمها لعاقبتها" [1].

الإدمان السلوكي.

وإن من أنواع الإدمان المعاصر: ما يعرف بالإدمان السلوكي، وهو: مرض اعترفت به المنظمات العالمية، عدم تمكن الشخص من التوقف عن القيام ببعض السلوكيات المحرمة شرعًا، أو المباحة في أصلها، ولكنها ربما آلت إلى أعراض صحية، ونفسية، تُخْرِج المرء عن سيطرة نفسه، وعن سلوكياته السوية، حتى تخنقه في ضيق العزلة، والانطواء عن المجتمع، فيرزح تحت فقدان هوية نفسه، ومجتمعه.

---

[1] أخرجه الدارقطني (٤/٢٥٦)رقم (٥٩)

إدمان الانترنت، والأجهزة الالكترونية.

كما أن المخدر له آفة مسيطرة على الجسد والعقل والذهن، وشعور بالسعادة الزائفة، فكذلك إدمان الانترنت والأجهزة الالكترونية لها ذات التأثير، فكثرة إدمان هذه الأجهزة تُوَلد عند المرء شعورًا زائفًا بالسعادة، بينما هو عَيشُ الضيق والاكتئاب الذي يفر منه، بل قد يؤثر هذا الإدمان المُحوسَب إلى "إجهاد البصر، وآلام الرقبة والظهر، وصعوبة التنفس، وخَدَرٍ في الأصابع"[٢].

فأصبح لزامًا على كل أحد منا أن يثقف نفسه وقايةً قبل العلاج، وأن تكون هناك مبادراتٌ مؤسسية للتوعية والإرشاد وتكثيف التثقيف، وأن يعترف كل أحد بحقيقة الأمر، وأنه ذو حدين، فلا إفراط ولا تفريط.

أطفالنا والإدمان.

وإنك تنظر من بعض الأطفال الذين مُنحوا حرية التصرف، وضَعفَ المراقبة والتربية إدمانًا وصل إلى

---

[١] الموقع الرسمي لوزارة الصحة: https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/

مستويات متقدمة: من إهدار الأوقات بين الألعاب والتطبيقات الالكترونية، فهو حاضر كغائب، ومتكلم كأصم، ومستمع كأبكم، وعاقل مشتت، ومجموع مفَّرق، حتى وصل إدمان بعض الأطفال إلى فقدان الشهية، وقلة النوم، وكل ذلك له الأثر الواضح على السلوك المعرفي، والعقلي، والاجتماعي، بل وحتى اللغوي والتخاطبي.

عدم المتابعة الكافية من الأهل، حتى يُتْرَك الطفلُ فترات طويلة دون توجيه، أو مشاركة أُسْرية، لهو عامل من عوامل التوحد، عالمُه الافتراض والخيال، وخيالُه الواقع والبيئة التي يعيشها.

وإن من أهم عوامل الإصلاح أن نكون آباءً قدواتٍ للأبناء، وأن لا نقع في مستنقع ما وقع فيه الأبناء، فيكون كلامنا لا وزن له ولا قيمة لدى أطفالنا.

الخطبة الثانية: الحمد لله...

إدمان التسوق.

وإن من أنواع الإدمان إدمان التسوق، وهو التبذير المتشكل على صورة الشياطين، ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ

ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ الإسراء: ٢٧، وإن الناظر إلى امتلاء الأسواق، وضجيج العملة بالشراء ليخشى من تفاقم الأمر إلى اضطراب في التحكم والانفعالات، وقد أشارت دراسات كثيرة إلى أن إدمان التسوق القهري يؤثر على النساء أكثر من تأثيره على الرجال، حتى غدت المشتريات محلاً للمباهاة والتعالي ولو رُكبت في سبيل ذلك الديون.

إدمان عمليات التجميل.

وإن من أنواع الإدمان: إدمان عمليات التجميل، والتي انتقلت من كونها ضرورة مُلحة يبيحها الشرع لإزالة العيوب، إلى ترف وهوس وتقليد وتغيير لخلق الله، ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١١٧ - ١١٩ .

وإن إدماني التسوق والتجميل ليسا ظاهرةً ينظر إليها

الشرع بنظرة التبذير فحسب، بل إنه وصل إلى حد طُرح على مائدة الحوار الطبي والنفسي.

عباد الله. إن الناظر بعين الاعتبار لَيرى أن اللجوء للإدمان بشتى أنواعه إنما هو بسبب ضعف الديانة، وفراغ الأوقات، وظهور أعراض الشعور بالاكتئاب أو النقص، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾الذاريات: ٥٠ ، فإن الفرار إليه عصمة من أمراض العصر، وراحة من قلق الحياة، ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ الرعد: ٢٨ – ٢٩، **قال** ﷺ: "من كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينَيْه، ولم يأْتِه من الدُّنيا إلَّا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه، جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ"(٣).

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد

---

(١) رواه الترمذي